

ذكريات برائحة الورد

سحر محمد الجبارين

التأثير نفسه على هذه الطالبة كما كان معلمتي تأثير علي، فقد كانت تبهرني في كل حصة، حيث لا يبقى في اللوح مكان لأي حرف، وملابسها أصبحت مليئة بغيار الطباشير الملونة، ويدق جرس الحصة دون أن تتوقف عن الشرح والكتابة على اللوح، أحياول أن أقلدها حتى في ضرب كفيها لإزالة غبار الطباشير عن يديها، وأتمنى أن يكون من بين طالباتي من هي معي في كل حركة، وأكون أنا إلهامها لتحديد هدفها وسعيها إلى الوصول إليه، وتعود بي الذكريات لزمن أبعد.

في كل صباح أتوق لتلك الرائحة التي كانت تملأ المكان، رائحة الخبز والشاي، رائحة الصيف، رائحة الشتاء، ذكريات تعود بي إلى الماضي، إلى مدرستي، ومعلماتي وكتبتي وصففي، إلى شوقي لبدء يوم جديد والذهاب إلى المدرسة لأقطف وردة وأقدمها لعلمتى المفضلة (رغدة) معلمة الرياضيات في الصف التاسع.

وزميلاتي اللواتي التقينهن في الطريق لنكملي المشوار معًا إلى المدرسة، وهذا أنا اليوم معلمة رياضيات تبتسم عيناي قبل شفاهي عندما تقدم لي إحدى طالباتي وردة، وأقول في نفسي هل لي



جانب من مشاركة المعلمة سحر الجبارين في أنشطة مع الطلاب.



جانب من مشاركة المعلمة سحر الجبارين في أنشطة مع الطلاب.

وكان لهذه الأحداث تأثير سلبي على حياتي التعليمية، وقررت تغيير دراستي، وعندها تذكرت شغفي بمعلمتي رغدة، وحولت إلى كلية العلوم تخصص رياضيات، ووجدت نفسي في الزوايا والجذور والمعادلات.

ومرت الأيام، وتخرجت من الجامعة، وتزوجت، وأصبحت أمًا، وكان اليوم الذي وردني فيه اتصال من مديرية التربية والتعليم في رام الله، حيث كان دورني في البدالة السنوية، وذهبت إلى المديرية لاستلام كتاب التكليف، وأنشاء تواجدي هناك وصل كتاب التعيينات من الوزارة، وإذ باسمي على لائحة التعيينات، وكانت سعادتي لا توصف، حيث تم تعييني في مدرسة ذكور قبيا الثانوية، وأحسست أنني لا أمشي على الأرض، إنما أنا محلقة في الهواء، واتصلت بوالدي الذي قابل فرحتي بالدموع، وبدأت مشواري المهني الذي يحمل رسالة سامية ومسؤولية كبيرة تحتاج إلى جهد وضمير إنسانية عالية، ليتمكن المعلم من القيام بالتربيـة والتعليم في آن واحد، وغرس القيم الإنسانية والوطنية في نفوس طلابه وقلوبهم وعقولهم، وكذلك تزويدـهم بالعلم النافع الواضح الذي سيـساعدـهم على بناء مستقبلـهم ومستقبلـ دولـتنا وأمتـنا.

بعد سنتين، تم نقلـي إلى مدرسة بنات قبيا الثانوية، حيث وجدت نفسي مع هيئة تدريسية وإدارية رائعة، وطالبات معظمـهن يـ يريدـن التعلم، ويـعملـون على الوصولـ إلى المعرفـة، وأـنـا أـعـملـ جـاهـدةـ عـلـىـ أـنـ أـكـونـ المـعلـمـةـ النـافـعـةـ لـهـنـ عـلـمـيـاـ وـإـنـسـانـيـاـ، وـتـتـكـرـرـ المشـاهـدـ، طـالـبـاتـ فيـ الـزيـ المـدـرـسـيـ، يـحـجـجـنـ لـلـعـنـيـةـ وـالـتـهـذـيبـ وـالـمـسـاعـدـةـ لـتـحـدـيدـ أـهـدـافـهـنـ، يـقـفـنـ فيـ الطـابـورـ الصـبـاحـيـ، وـيـقـدـمـنـ الـورـودـ لـعـلـمـاتـهـنـ، وـلـربـماـ تـكـونـ المـعلـمـةـ طـمـوحـ إـحـدـاهـنـ، لـتـكـمـلـ المشـوارـ وـتـعـيـدـ القـصـةـ مـنـ جـدـيدـ.

مدرسة بنات قبيا الثانوية

وأذكر مدربـتيـ فيـ المـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ، وـمـعـلـمـتـيـ فيـ الصـفـ الأولـ الأسـاسـيـ مـسـ (ـنوـفـ)، وـفـيـ الصـفـ الثـانـيـ مـسـ (ـنوـفـ)، وـفـيـ الصـفـ الثـالـثـ مـسـ (ـدانـةـ)، حيثـ كانـ أـوـلـ وـقـوفـ لـيـ فيـ الطـابـورـ الصـبـاحـيـ لـقـراءـةـ مـوـضـوـعـ فيـ الإـذـاعـةـ المـدـرـسـيـةـ، كـانـ صـوـتـيـ يـرـتـعـشـ، وـيـدـايـ بـالـكـادـ تـمـسـكـ بـالـوـرـقـةـ، وـكـانـتـ مـعـلـمـتـيـ تـنـظـرـ إـلـيـ وـتـبـسـمـ، فـقـدـ كـنـتـ قدـ حـفـظـتـ مـوـضـوـعـ مـنـ كـثـرـ الـاستـعـادـ لـقـراءـتـهـ، وـكـانـ لـمـعـلـمـتـيـ الدـورـ الأـكـبـرـ فيـ كـسـرـ حـاجـزـ الـخـوـفـ مـنـ الـوقـوفـ أـمـامـ المـدـرـسـةـ بـأـكـمـلـهـاـ وـقـراءـةـ الـمـوـضـوـعـ، كـمـاـ لـاـ أـنـكـرـ دـورـ أـبـيـ الـمـعـلـمـ الفـاضـلـ الـذـيـ زـرـ فـيـنـاـ حـبـ الـمـعـلـمـيـنـ وـالـتـعـلـيمـ، وـاحـتـرـامـ مـهـنـةـ الـتـعـلـيمـ، وـتـقـدـيرـ النـظـامـ وـالـوقـتـ، وـالـالـلتـزـامـ بـقـوـانـينـ المـدـرـسـةـ، وـوـجـوبـ اـحـتـرـامـ الـمـعـلـمـيـنـ وـإـجـالـاهـمـ، وـكـذـلـكـ أـمـيـ الـتـيـ كـانـ لـهـاـ الـفـضـلـ الأـكـبـرـ فيـ مـتـابـعـتـاـ وـمـتـابـعـةـ دـروـسـنـاـ، وـعـلـمـتـيـ كـيـفـ أـدـرـسـ دـوـنـ تـأـجـيلـ عـلـمـ الـيـوـمـ إـلـىـ الـغـدـ، وـوـجـوبـ إـنـهـاءـ الـوـاجـيـاتـ، وـالـدـرـاسـةـ الـيـوـمـيـةـ، حـتـىـ وـصـلـتـ إـلـىـ الـمـرـحلـةـ الـثـانـيـةـ.

وـفـيـ الصـفـ الأولـ الثـانـيـ الـعـلـمـيـ، كـانـتـ عـلـامـتـيـ فيـ أـوـلـ اـمـتـاحـانـ فـيـزـيـاءـ يومـيـ هيـ 5.5ـ منـ 10ـ، وـكـانـ لـذـلـكـ تـأـثـيرـ سـلـيـ جـداـ عـلـىـ نـفـسـيـتـيـ، وـاعـتـقـدـتـ أـنـيـ لـاـ اـسـتـطـعـ الـمـواـصـلـةـ فيـ الـفـرـعـ الـعـلـمـيـ، حـتـىـ كـانـتـ عـلـامـتـيـ فيـ اـمـتـاحـانـ الشـهـرـيـنـ فيـ الـمـادـةـ نـفـسـهـاـ 20ـ منـ 20ـ، وـقـامـ الـأـسـتـاذـ نـظـيرـ الشـالـلـادـةـ بـتـكـريـمـيـ أـمـامـ المـدـرـسـةـ بـأـكـمـلـهـاـ، وـعـادـتـ ثـقـتـيـ لـيـ.

وـبـدـأـتـ أـشـقـ طـرـيقـيـ نـحـوـ الـثـانـيـةـ الـعـامـةـ، بـجـهـدـ وـإـصرـارـ كـانـتـ النـتـيـجـةـ أـنـ سـجـلـتـ فيـ جـامـعـةـ بـيـرـزـيـتـ كـلـيـةـ الـهـنـدـسـةـ، وـبـعـدـ مـرـورـ سـنـتـيـنـ كـانـتـ حـادـثـةـ اـسـتـشـهـادـ أـخـيـ الـأـصـفـرـ أـسـمـاءـ (ـرـحـمـهـ اللـهـ)ـ بـتـارـيـخـ 28ـ/ـ4ـ/ـ2002ـ، وـقـدـ حـالـ اـجـتـيـاحـ الـضـفـةـ وـوـجـودـ الـحـوـاجـزـ عـلـىـ الـطـرـقـ مـنـ وـصـولـيـ إـلـىـ بـلـدـتـيـ سـعـيرـ لـحـضـورـ جـنـازـهـ أـخـيـ، فـقـدـ وـصـلـتـ بـعـدـ أـنـ وـورـيـ جـثـمـانـهـ الطـاهـرـ الشـرـىـ، حـيـثـ كـنـتـ فيـ بـيـرـزـيـتـ، وـقـدـ أـصـبـحـتـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ تـارـيـخـاـ يـفـصـلـ بـيـنـ قـبـلـ وـبـعـدـ.